البحث عن علاقات خارج الأسرة
الفايسبوك أنموذجا

محمد محمود أسماء
تحت تأطير أ.د. قاسيمي ناصر
جامعة البليدة2

ملخص:

لم تعد الأسرة المؤسسة الوحيدة في تشكيل البنية النفسية والعقلية للفرد بل تدخلت العديد من العوامل في تشكيلها بشكل مباشر وغير مباشر ومن بينها نجد عامل التكنولوجيا الذي كان له الأثر الكبير في سائر التعاملات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية مما زاد من اكتساب الأفراد أنماطا سلوكية وقيمية تتناقض في معظمها مع الأحكام الشرعية للدين الإسلامي والموروث الثقافي والاجتماعي للمجتمع.

وأن التغيرات التي طرأت على نشاطاتنا من حيث تواصلنا وتفاعلنا مع بعضنا البعض وارتباطنا اليومي بالتكنولوجيا مهد الطريق لظهور ملامح جديدة للعلاقات الاجتماعية التي فرضت علينا نوعا جديدا من الانتماءات والتفاعلات المحلية والعالمية الواسعة بمضامين وقيم ثقافية متنوعة تكونت من خلالها علاقات رقمية خارج العلاقات الأولية للأسرة بعدما كانت الأسرة هي أساس التكوينات البشرية كلها لما لها من دور فعال في البناء الاجتماعي وهيكلي للمجتمع.

الكلمات الدالة: العلاقات، الأسرة، الفايسبوك، السلوك، التغيرات.

Summary :

The family is no longer the only institution in shaping the psychological and mental structure of the individual, but intervend many of the direct and indirect factors in its formation, among the mis the thchnology factor, which has a great impact on other social, cultural, economic and political issues, thus increasing individuals acquisition of patterns of behavior and values, which in most case contradict the

legitimate provisions of the islamic region and the cultural and social heritage of society.

Occurred in our activities in trems of our social communication and interaction with each other and our daily connection to technology, paved the way for the emergence of new features of social relatoins, which imposed on us kind of local and global affiliations and wide.with various cultural contant and values, through which digital relations were formed outside the family, after the family was the foundation of the human structure because of its active role in the social and structural construction of society.

Keywords: relations, family, Facebook, behavior, changes

مقدمة:

شهدت نشاطاتنا اليومية أعمالا وممارسات مستحدثة مرتبطة بتكنولوجيا المعلومات ووسائل الاتصال الرقمية سواء في الحياة العملية أو الحياة الأسرية، أين صارت جل تعاملاتنا وتفاعلاتنا متعلقة بالوسيط التقني المتصل بشبكة الانترنت متأثرين بذلك بموجة العولمة وما تحمله من أفكار وتوابع خطيرة يمكنها أن تنعكس بالسلب على الفرد والأسرة والمجتمع ككل.حيث أضحى لكل فرد من أفراد الأسرة الواحدة وسائل الاتصال الخاصة التي تربطه بعالمه الخاص وتفاعلاته الافتراضية، بعد ما كانت المشاركة والتفاعل من بين الوظائف المحورية التي تقوم بها الأسرة والتي تعتبر مرجعية أساسية في التوجيه والتأثير في إنتاج الأفعال الواقعية للأفراد ومجالا مهما يسهم في تحديد هويتهم الاجتماعية.

كما أن متطلبات وظروف الحياة العصرية ودخول التكنولوجيا الحياة الاجتماعية حتمت على أفراد المجتمع العيش في كنف المتعة والبحث عن الرفاهية والتواصل الحر بعيدا عن قيود وضغوط المجتمع والعائلة، ولهذا نقول أن عملية التنشئة الاجتماعية تلعب دورا مهما في تكوين شخصية الأفراد وأفعالهم اليومية بدأ من الأسرة لأنها تمثل المؤسسة الأولى في تشكل الشخصية والهوية الفردية والجماعية للفرد، وفي غرس قيم الانتماء للمجتمع مرورا بالمدرسة وجماعات الرفاق.

ولهذا فمسألة الانتماء في العالم الافتراضي على غرار الانتماء للجماعات الأولية ساعد على بناء علاقات اجتماعية مفتوحة وواسعة، فالملاحظ اليوم للواقع الاجتماعي في العالم انتشار استخدام التكنولوجيا والاحتكاك الدائم بها واستهلاكها ماديا ومضمونا أعطاها معنى في حياة الأفراد من خلال الممارسات الجديدة في تمثيل الواقع الاجتماعي وربط علاقات مع الآخر اعتمادا على مواقع التواصل الاجتماعي كالفايسبوك وتويتر.

حيث اهتم السوسيولوجيون بالانتماء الاجتماعي للأفراد من خلال الوسيط الالكتروني لما له من أبعاد اجتماعية على الفرد والأسرة والذي أحدث تغيرا على مستوى تركيبتها وعلاقاتها الاجتماعية،حيث بات الفرد يبحث عن مجال اجتماعي آخر وإشاعات أخرى يتشارك فيها مع غيره لتكسبه حق الانتماء لثقافة التواصل الافتراضي ومرجعية مشتركة للتفاعل في تكوين العلاقات دون الخضوع للضبط الاجتماعيوعليه جاء هدا الموضوع ليثير إشكالية كيف تتشكل الهوية الاجتماعيةلأفراد الأسرة في ظل تعدد الانتماءات الافتراضية عبر مواقع التواصل الاجتماعي؟

أولا/العضوية: من الواقعية إلى الافتراضية

يفضي الانتماء للعالم الافتراضي بهذا المعنى إلى حذف الأساسيات المادية للمستخدمين القائمة على التصنيفات التقليدية للعلاقات الاجتماعية والحضور الاجتماعي الذي يربطهم بالأسرة والزمالة في المدرسة والعمل والجيرة لتتجاوز ذلك بعد دخول الانترنت إلى علاقات مفتوحة تتعدى المجال المكاني والزمني، ويصعب إدراكها وإدراك التصنيفات المتعددة ذات الخلفيات والتخصصات المختلفة.

- هذا التداخل والترابط بين العضوية في الواقع الاجتماعي و الافتراضي الذي يزداد تعقيدا يوما بعد يوم مع جملة من التحولات العميقة مختلفة الأبعاد التي بدأ يعرفها المجتمع الجزائري في الآونة الأخيرة خاصة فئة الشباب، باعتبارها أكثر فئات المجتمع فضولا للبحث عن التغيير والتعبير عن الذات بكل حرية في تكوين علاقاته الاجتماعية،أخذت الشكل الافتراضي وطابع السرعة فاقت كل توقعات وتصورات المهتمين والذي أسهم في بنائها بالدرجة الأولى الارتباط الدائم بالتقنية والاستخدام المتكرر لها، "ليقوم الأفراد من خلالها ببناء البيئة التي يريدونها، ويطور فيما بينهم شروط الانتساب إلى الجماعة وقواعد الدخول والخروج، وآليات التعامل، والقواعد والأخلاقيات التي ينبغي مراعاتها من أجل الاستمرار في العضوية في الجماعات الافتراضية"(محمد على فرح، 2014، ص230).

ثانيا/ الفايسبوك وبناء الجماعة المرجعية

يكتسب الفرد بصفته عضوا في جماعات متعددة-جبريا أو اختياريا خلال مراحل النمو في حياته العديد من المعارف والخبرات والمهارات نتيجة تفاعله واتصاله مع الآخرين سواء في جماعات الانتماء أو الجماعات المرجعية، وهذه المكتسبات تشكل له أحكاما مسبقة ومقاييس أو قواعد نمطية تصبح إطارا يرجع إليه الفرد في إدراكه واتجاهاته وسلوكه الاجتماعي"(بلقاسم بن روان، 2016، ص106)، ونفس الشيء انضمامه للعالم الافتراضي (الفايسبوك) يفتح له المجال واسعا للدخول في جماعات مختلفة من البناءات والاتجاهات تتحدد من خلالها مواقف وآراء جراء ما يتعرض له من منشورات ومضامين مختلفة وأفكار نتيجة ادراكه أو عدم ادراكه للمعاني المشتركة

هذه الجماعات المرجعية قد تربطه بالجمهور العالمي الواسع فتشكل له الخلفية الاجتماعية أو المعرفية أو السياسية أو الاقتصادية التي ينتمي إليها وتكون له خبرة وتجربة من خلال العمليات الاتصالية المختلفة مع فئات اجتماعية متباينة من حيث السن والنوع، كما تساعده في فهم العالم المحيط به ورؤية الأمور من وجهة نظر مختلفة،"وهذا ما يفسر التباين بين الأفراد والجماعات نتيجة للتباين في بناء المعرفة وتنظيمها،التي تتأثر بالتفاعل الاجتماعي وبناء العلاقات الاجتماعية"(بلقاسم بن روان، 2016، ص108)،حيث تسهم التفاعلات الاجتماعية إلى جانب المكتسبات في العالم الافتراضي بتعليم الفرد منظومات القيم والمعايير والمعتقدات التي تشكل الأنماط والعناصر الأساسية في الثقافة الاجتماعية(أنتوني غدنز،2005، ص89).

وعلى هذا الأساس فان الهويات الاجتماعية تتضمن أبعادا جماعية،فهي تعطي مؤشرات على وجود أفراد متشابهين مثلهم مثل غيرهم من الناس والهويات المشتركة التي ترتكز على منظومة من الأهداف والقيم والتجارب المشتركة تستطيع أن تشكل قاعدة مهمة للحركات الاجتماعية في بناء علاقات وتشكيل مجموعات ومرجعيات أخرى(أنتوني غدنز،2005، ص89).

ثالثا/ هل نحن مجبرون على إخبار الناس بكل تحركاتنا اليومية؟

لقد دخلت التكنولوجيا حياتنا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتسويقية والترفيهية من خلال إحداث تغيرات في تجارب حياتنا اليومية حيث صار الفرد يبحث عن

الإشباع والتقدير في العالم الافتراضي من خلال إفشاء الذات والتواصل بكل حرية مع من يريد، كما يمكن القول أن ما ينشر عبر صفحة الفايسبوك من محتوى في كثير من الأحيان يكون ترديد لما يحدث في الواقع مع التمثيل بمقولات أو آراء وصور تعبر على توجهه الفكري و قناعاته المرتبطة بواقعه اليومي وتجاربه الاجتماعية، ولإثبات وجوده

وانتمائه للجماعات الافتراضية يشارك مشاركة فعلية مع أفراد تربطه بهم علاقة الكترونية تلغي الفواصل الجغرافية والاجتماعية للتواصل ليصبح تصفح مواقع التواصل الاجتماعي والتفاعل عبرها ممارسة ونمط حياة يومي.

فوسائل التواصل اليوم هي التي نكمل ادراكاتنا بواقعنا وبالعالم الخارجي وتوسعها وتشكل الذهنيات (التصورات والأفكار)، ويكتسب المستخدم من خلالها قيما ومعايير للتعامل التي بمثابة متغيرات توجيهية للتفاعل الاجتماعي واقتداء بالمرجعية الجماعية التي يختارها.

فالاستخدام الكثيف لهذه المواقع في الحياة الاجتماعية قد يفسح المجال لظهور أنماط مستحدثة من التنظيم الاجتماعي تختلف في بنائها وتنظيمها عن المجتمعات الواقعية فلا يمكن معرفة أو ملاحظة الفوارق أو التفاوت بين المتفاعلين إلا من خلال المنشورات والمستوى المعرفي أثناء الدردشة،فالأفراد وفق هذا العالم لا يتميزون عن بعضهم البعض في الوضع الاجتماعي أو الاقتصادي كما هو في الواقع بل يتباينون من حيث درجات التفاعل والمنشورات والمضامين التي تعبر عن أذواقهم واهتماماتهم الشخصية.

رابعا/المضامين الإعلامية

إن تدوين الإحداث الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وإعادة نشرها عبر مواقع التواصل الاجتماعي، يعتبر بمثابة تمثيل ورسم لحركة وديناميكية المجتمع، ذلك لأنها تحاكي الحياة الواقعية صورة وصوتا وشعورا وحركة،فهي بذلك تسهم في فهم حياة الإنسان وعلاقته مع المجتمع ومع غيره من الأفراد، كما أن الترابط بين المضمون والواقع يتحكم فيه المستخدم لأنه يعبر على رأيه وتمثيل لشخصية الناشر فهو بمثابة إعادة إنتاج الواقع وتوثيقه.

فهذه التكنولوجيا لا تمنحنا فقط أساليب مختلفة للعمل والتفكير والترفيه بل أنها تقدم لنا أيضا بعض الخيارات الأخلاقية المختلفة،وهذه الخيارات الأخلاقية هي التي تعكس بعض المعايير التي تساعد في توجيه السلوك والتصرفات في العالم الرقمي وتنعكس في الواقع الاجتماعي(شريف درويش اللبان، ،2000، ص171).

ولعل ما يفسر تباين تأثير مضمون مواقع التواصل الاجتماعي على المستخدمين يدل على تباين في التعرض لهذه الأخيرة فاستخدامها السلبي يمكن أن يلغي فوائدها والعكس صحيح، فاختلاف محتوى المضامين الإعلامية يرجع إلى اختلاف توجهات وخلفيات ناشريها،وأن السياقات الاجتماعية التي يجد المستخدم نفسه فيها عبر الفايسبوك والمواقع الأخرى تزيده تمسكا بالعالم الافتراضي، لأنها تفتح له مجالا واسعا لديناميكية التفاعل بين مختلف الفئات الاجتماعية والثقافية غير موجودة في العالم الواقعي، فيمكننا القول في هذا الشأن أن تكنولوجيا الاتصال حلت مشكلة التواصل الاجتماعي في الحياة اليومية من هواتف ذكية وحواسيب، من خلال إعطاء فرصة لإحياء مختلف المناسبات وتفاعل اجتماعي قد لا يتم بصفة عشوائية بل مقصودة تسيره مصالح ومقاصد قد تكون علمية أو تجارية أو عاطفية أو ترفيهية.

خامسا/ الأدوار الاجتماعية الافتراضية

الإنسان في حياته الاجتماعية،يقوم بتنظيم تفاعلاته مع الآخرين(من الأسرة والأقارب والجيران ومجتمعه الصغير، وتستمر هذه الدائرة في الاتساع حتى تصل للعالم كله) وفقا لرؤاه الخاصة التي تتأتى من منظومة القيم التي ينشأ في ظلها"(مهدي محمد القصاص، 2010، ص5)، فتتحدد أدواره وأفعاله بناء على خبراته وادراكاته للواقع الموجود فيه وهذا ما يميز الحياة الاجتماعية التي لا توجد إلا من خلال الأفراد الذين يفعلون في صميمها عن طريق لعبة التبادلات اليومية التي تتم بينهم لتشييد بشكل دائم المجتمع وضوابطه وصيرورته(فيليب كابان، 2010،دمشق، ص1).

إلا أن دخول وسائل التكنولوجيا الواقع الاجتماعي حتم على مستخدميها تحديد أدوارهم الاجتماعية الواقعية وفق هذه التقنية فالاستهلاك المادي لها والتي جاءت على شكل موجات متتالية من الحداثة للوسائل والبرامج وطرق استخدامها والتأثر بمضامينها،كل هذا انعكس على البنية الاجتماعية لعلاقات وأدوار الأفراد من جهة وعلى طبيعة العلاقات الأسرية من جهة أخرى جعل منها ممارسة يومية وشخصية على مستوى الفرد الذي ربط جل تفاعلاته وتبادلاته بالعالم الافتراضي.

والواقع أن انفتاح الفرد على العلاقات الاجتماعية الافتراضية وقبوله للغير تتمخض عنه أدوار افتراضية وطرق للتصرف تختلف عن ما هو واقعي، وتتحدد خلاله رموز للتبادل لها معنى للتواصل وفهم للآخر "فالتوصل في هدا العالم سيكون في أساسه بروزا أمام الآخر

بمظهر خاص وسيكون الهدف منه تقديم صورة مميزة عن الذات،وتبرير مواقفها والدفاع عن ما يميزها كهوية افتراضية ومن هنا تتجلى الوظائف الاجتماعية والأدوار على عملية التواصل الاجتماعي(محمد عابد الجابري، 2010،ص22،23).

فصارت اللقاءات والعلاقات الاجتماعية تتم في الأغلب من خلال التواجد الالكتروني عبر الفايسبوك والمواقع الأخرىالتي ينتفي فيها عامل المواجهة المادية والانفعالية للمستخدمين مما يسهل عليهم التلفظ بكلام قد لا يقوى على مواجهته ومشافهته في الواقع،حتى أنه لم يعد أحد دون عضوية في هذا المجتمع ،الذي يفتح مجالا لتعددية الانتماء والاندماج في مجموعات ذات خلفية سياسية ودينية ورياضية أو اقتصادية.

ومن الأمور التي يتفق عليها معظم الباحثين أمثال "مورجن" و"كركمر" Morgan.1996 KRCMAR و"وينتلنج"Wentling 1990 أن وجود وسائل اتصال في المنزل يؤثر بالضرورة على نمط العلاقات الاجتماعية بين أفرادها، فوسائل الاتصال يمكن أن يحدث نمطين من الانفصال أو التباعد وهما:

1-الانفصال المادي أو المكاني Physical or Compartmentalization

2-الانفصال الدهني Sybolic Compartmentalization.(علياء سامي عبد الفتاح، 2011، ص175،176).

ولا يعني ذلك بأن هذه الممارسة التي ارتبطت بالعالم الافتراضي منفصلة عن العالم الواقعي بل أن الاستخدام المتكرر لها يدخلها في دائرة الممارسات اليومية التي يقوم بها الفرد في حياته الاجتماعية.

حيث يسعي الأفراد للمشاركة في العالم الافتراضي أو المجتمع للشعور بالانتماء الذي يعتبر حاجة إنسانية واقعية قبل أن تنتقل للعالم الافتراضي في البحث عن العضوية للجماعة ما من خلال متابعة ما يحدث فيها،وسهولة التفاعل مع أفرادها وأحداثها، وما توفره من مساحات كبيرة للتحرك والأخذ والعطاء مما يدفعهما للتفرد في عالمهم الخاص ويفصلهم عن روابطهم التقليدية ليربطهم مرة أخرى بانتماءات خارج عالمهم الواقعي، والبحث عن رموز للتواصل التي يزداد فيها تقاطع العلاقات شيئا فشيئا.

حيث يستخدم رواد مواقع التواصل الاجتماعي التسميات المستعارة لتكوين العلاقات وتكوين مواقف وتعد مظاهرها طريقا مؤدية لإدراك قواعدها المخفية، وإدراك نسقها الكامن

،فهو نسق رمزي يبنيه المستخدمون انطلاقا من واقعهم الاجتماعي من أجل تمثيل الواقع المعقد تمثيلا رمزيا.

عالم تتغلغل فيه الدلالات الثقافية المختلفة تعتمد على الرموز والمعاني فيما نقوم به من ممارسات وتمثيلات، ومع الإقرار بسرعة التفاعل والتبادل التي تحقق في العالم الافتراضي في ظل تزايد المتفاعلين فيه تبرز العديد من الإشكالات متعددة المداخيل والتي ينبغياالوقوف عندها وفهمها وضمن هدا التصور السوسيولوجي للتقنية لم يعد بوسعنا إغفال دورها ،ان محفزات التغير الاجتماعي تتمثل في المقام الأول في مؤثرات تكنولوجية وثمة نوع من العلاقات الاجتماعية التي ينظمها أعضائها وفقا لتوجهات ثقافية أو سياسية وهناك بعض الرموز والمعاني تعطي مؤشرات ارشادية لتوجيه التفاعل تشكل للمستخدم الأسلوب الدي يتصرف به.

خاتمة:

مهما بلغت وتعددت العلاقات والانتماءات في العالم الافتراضي فلن تضاهي الانتماء الطبيعي والفطري للأفراد في البحث عن الجماعة الأولية والحصول على إشباع الحاجيات المختلفة والعيش في كنف الأسرة، التي تعتبر أساس كل التكوينات الاجتماعية والعلاقات لأن لها موقعها الهام في البناء الاجتماعي الذي ساد البدايات الأولى للبشرية ولازالت اليوم رغم القيم الفردية التي أثارتها التكنولوجيا وأصبحت تنادي بها العولمة في نقل الثقافة والقيم بمختلف مضامينها الظاهرة والخفية، التي تعتبر مصدرا لإنتاج علاقات مع الآخر وانحرف العلاقة بين الجنسين وما تقتضيها الأعراف والأحكام الشرعية وضمن هدا التصور السوسيولوجي للتقنية لم يعد بوسعنا إغفال دورها المهم الذي تمكن فعلا من إدخال الأفراد في تفاعلات وعلاقات اجتماعية مفتوحة تتسع لكل الأجناس والفئات الاجتماعية المختلفة بعيدا عن الأسرة والعلاقات الاجتماعية التقليدية.

في ظل هدا الواقع الجديد المرتبط بالوسيط التقني فقد أضحت العلاقات مرتبطة بتفاعلات الكترونية من خلال المشاركة في محتوياتها وإعادة توزيعها، فكل متفاعل بإمكانه المشاركة والتعبير بالتمثيل بالصورة والصوت أو الكتابة، وهدا يعني إن مواقع التواصل الاجتماعي تمكنت فعلا من إدخال الأفراد في تفاعلات وعلاقات اجتماعية مفتوحة تتسع لكل الأجناس والفئات الاجتماعية المختلفة.

الهوامش:

(1) محمد على فرح، صناعة الواقع الإعلام وضبط المجتمع، أفكار حول السلطة والجمهور والوعي والواقع، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت،2014.

(2) بلقاسم بن روان، سوسيولوجيا الاعلام، القيم في المنظومة الإعلامية، ط1، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2016.

(3) أنتوني غدنز، ترجمة فايز الصياغ: علم الاجتماع، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية للترجمة ،بيروت،2005.

(4) شريف درويش اللبان، تكنولوجياالمخاطر والتحديات،ط1، ،2000، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة.

(5) مهدي محمد القصاص، كتاب مدخل لعلم الاجتماع، مكتبة منشالي، مصر، 2010.

(6) فيليب كابان، جان فرانسو دورتيه، ترجمة اياتس حسن: علم الاجتماع: من النظريات الكبرى الى الشؤون اليومية، أعلام وتواريخ وتيارات، دار الفرقد،2010،دمشق.

(7) محمد عابد الجابري، التواصل نظريات وتطبيقات، ط1،الشبكة العربية للأبحاث و النشر، بيروت، 2010.

(8) علياء سامي عبد الفتاح: الأنترنت والشباب، دراسة ميدانية في آليات التفاعل الاجتماعي، دار العالم العربي، القاهرة ،2011.